مقدمـة

حمداً لله وشكراً ، لاعلم لنا إلا ما علمتنا .. من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ، ونُصلّى ونسلم على أفضل خلقه ، وخاتم رسله محمد ﷺ ..

وبعد .. وحده كان عمر بن الخطاب نسيجاً فريداً صنعه الإسلام على يديه ؛ فلم تُثرْ شخصية حاكم مسلم حولها هالة من الاعجاب والاحترام مثل شخصية عمر بن الخطاب ، فلا تذكر الفتوحات الإسلامية العظيمة إلا ويذكر اسم عمر مقترناً بها ، ولاتذكر الانتصارات الرائعة فى بدء الاسلام إلا ويذكر اسم عمر معها ، ولا يذكر الحكام العادلون ــ وهم قليلون ــ إلا وعلى رأسهم عمر بن الخطاب .

إن هناك جوانب كثيرة وعظيمة فى عمر .. وقف أمامها المؤرخون والباحثون ، وتناولوها بالبحث والدراسة : عمر المسلم ــ عمر الحاكم ــ عمر الزاهد ــ عمر الملهم ــ عمر العابد ..

ولكن هناك جانباً لم ينل حظه الكافى من العناية والبحث ألا وهو شخصية عمر الفقيه .. عمر المجتهد .. عمر المفتى .. ونحن هنا نريد أن نسلط الضوء على جانب هام من حياة عمر من خلال فتاويه وأقضيته . ألا وإنَّ من وسائل التفقه فى الدين الرجوع إلى الأقضية والفتاوى التى تولاها كبار الصحابة والتابعين ، ولاشك أن نشر هذه الأقضية وتلك الفتاوى بين المسلمين عمل جليل النفع ، عظيم الفائدة ، طيب الأثر ، ففيها دراسة لمشكلات قائمة ، وهى صورة حية لما يقع بين أيديهم من الحل والحرمة ، تسعف من لم تسعفه ظروفه ، وتساعد من لم تساعده أحواله لينقطع للعلم ، ويتفرغ للدرس حيث تتناول معظم المسائل التى تعرض للمسلم فى حياته ، عباداته ومعاملاته فيما يشبه أن يكون « دائرة معارف فقهية » .

ولعل أهم ميزة فى شخصية عمر بن الخطاب هى : أدب القضاء ، ولقد شاء الله أن يلقب بالفاروق لمعنى من معانى العدل فى القضاء ؛ فإن الأمور لم

تستقم له مصادفة واتفاقاً ، وإنما أقام حكمه (ولايته) على العدل .

ولم يكن عجيباً أن تكون له أوليات يتناقلها الخلف عن السلف فى مجال القضاء والإفتاء :

فهو أول من استقضى القضاة ، ووضع أساس القضاء النِّظامى ، وكتابه المشهور الى أبى موسى الأشعرى فيما ينبغى أن يكون عليه القاضى والقضاة يدل على سمو إدراكه لمعنى العدالة وطرائق تطبيقها .

وهو أول من سن قيام رمضان فى جماعة .. وأول من عاقب على الهجاء .. وأول من ضرب فى الخمر ثمانين .. وأول من أعال الفرائض .. وأول من أخذ زكاة الخيل .. وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد .. وأول من جمع الناس فى صلاة الجنائز ..

ولقد كان يستشير فضلاء المسلمين بالمساجد فى المسائل العامة ثم يعرض رأيه وآراءهم على مجلس شوراه المؤلف من أعيان الصحابة ، فما استقر عليه رأيهم أمضاه .

ولهذا كانت المدينة فى أيامه أشبه بمدرسة يتخرج فيها القضاة والمشرعون ، والمجتهدون فيوزعهم على الأمصار يقضون فيها بالشرع والسنة والقياس متخذين عدل عمر ، وحبه للمساواة ، وخضوعه لأحكام الحق نبراساً يهتدون بنوره ، وقدوة يقتدون بها عند الفصْل فى أمور المسلمين .

ونتلقى نحن ــ المسلمين ــ هذا الحصاد الفقهى الجليل ، فإذا بنا أمام مدرسة عليا فى القضاء والفتيا نتعلم فيها ومنها دروس العدل والمساواة ومنطق الحكمة وفصل الخطاب ، ويصبح من حق كل مسلم وبخاصة أولئك الذين يتصدون للفتيا ، ويجلسون للفصل بين المتخاصمين أن يلموا بها ويتعرفوا أهدافها وحكمتها ، ليزدادوا فقهاً وعلماً .

إن فتاوى عمر وأقضيته كنز من كنوز الفقه الإسلامى تضمه الموسوعات وأمهات الكتب .. وكان على أن أجمع ما تناثر هنا وهناك ، وأضم ما تفرق من النظائر والمتشابهات ، وأرتب هذا الحصاد فى أبواب وفصول تجمع

المسائل المتقاربة ، والمشكلات المتشابهة ، ثم أتناولها بالتعليق متصدياً لآراء العلماء فى المسائل التى خالف فيها الجمهور رأى عمر .

ولقد حرصت على أن أشير إلى مصادر الفتاوى ، وأخرج الآيات والأحاديث ، ضابطاً ما يحتاج الى ضبط ، معنوناً ما جمعته من أقضية وفتاوى ليسهل الرجوع إليها والانتفاع بها .

ولقد تطلب هذا العمل أن أرجع إلى مصادر قديمة وأخرى حديثة فرجعت إلى المحلى لابن حزم ، وسبل السلام للصنعانى ونيل الأوطار للشوكانى ، وتنوير الحوالك على شرح موطأ مالك ، والتعليق المغنى على الدارقطنى ، والطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ، وحياة الصحابة للكاندهلوى ، وتاريخ الأمم والملوك للطبرى ، إلى غير ذلك من مصادر وأشرت إلى جميعها فى الهوامش .

وحسبى أننى جمعتها ، ويسرت للقارىء المسلم الرجوع إليها فإن كان توفيق فمن الله ، وهو حسبى ونعم المعين .

وأخيراً ما أروع أن نختم حديثنا بقول ابن مسعود

« كان اسلام عمر فتحاً ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة » .

وأضيف : وكانت أقضيته وفتواه علماً وفقهاً . رضى الله عن عمر ونفعاً بفتاواه .

القاهرة فى غرة رمضان سنه ١٤٠٥ هـ

محمد عبد العزيز الهلاوى

obeikandl.com